ابواب فلسطين مشرعة امام اي يهودي قادم من اربع جهات الارض: «مهاجرون يجلبون، وابناء فلسطين لا يسمح لهم ان يعودوا الى اوطانهم، حكومة تتلقى اوامر الوكالة الصهيونية، وتجلب المهاجرين، وتهتم باعاشتهم، وتخدم كل المشاريع والمصالح اليهودية، وارض تباع بابخس الاثمان، واهل البلاد يُسخرون ويخضعون، وزعماؤهم يسمسرون بلا حياء، وحركة وسياسة الوطن القومي ماشيان على غاية ما يرام. فماذا يريد الصهيونيون فوق ذلك كله حتى يتعرضوا للبراق؟». ويمضي محذراً اهل البلاد من عواقب الامور فيقول: «الصهيونيون غير آتين ليدللوكم ويعطوكم الاموال لتنعموا فيها؛ اتوا ويأتون ليستأصلوا ويأخذوا اوطانكم ويعيشوا فيها ويستولوا على موارد العرب»(٧٧).

ويقر صاحب «الكرمل»، وهو يصف تبدل شعروه تجاه الانجليز، بأن «ذلك الشعور بالطمأنينة، والامل بالعدل والرقي الذي كنت اشعر به على أثر الاحتلال، تبدل كله وأسفاره... وانا اليوم في قلق وعذاب دائمين، تتأكلني الندامة على كل ما فرط مني من التبشير بعدل الانجليز قبل الحرب وفي غضونه، وعلى التضحيات العظيمة وخصوصاً تلك التضحيات الادبية المؤلمة التي لا تعوض، ولكني اتعزى انني كنت افعل ذلك عن اعتقاد ولم اكن مأجوراً، ولاني وان كنت خسرت كل شيء فقد استبقيت شرفي ومبدأي. انا شاعر وأسفاه ان اموالنا ذاهبة، واوطاننا ذاهبة وان البهائم لها قيمة اكثر منا في نظر ادارة فلسطين». كل ذلك لان «السياسة الانكليزية الصهيونية قضت على كل آمالي بعدل الانكليز، وهذه اعتقادات شخصية واظن الجهر بها خير من كتمانها»(٧٨).

ان هذا الغدر الغربي جعل نصار يشعر بالخجل امام مواطنيه كونه يدين بالمسيحية كهذا الغرب. «نحن معاشر النصارى، يا قداسة البابا، في هذه البلاد صرنا نذوب حياء وخجلاً من اخواننا المسلمين الذين حافظوا علينا وعلى اموالنا وحقوقنا اجيالاً طوالاً، وصرنا كلما نظر واحد منهم في وجوهنا تنفذ نظرته الى اعماق قلوبنا وكأننا بها تقول: ابمثل هذا يقابل النصارى المعروف»(٧٩).

وكما اوضح نصار فان بريطانيا قررت انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين بسبب مصالحها، واستمرت سياستها في بناء هذا الوطن رغم الانتفاضات والثورات والاحتجاجات، كما استمرت في رسم وتعديل القوانين لتحقيق هذا الهدف. «ان هذا القانون يريد منا ان نعمل لخدمة السياسة الصهيونية ولاعالة المهاجرين الصهيونيين، وان لا نبدي حراكاً، ولو اعتدى الصهيونيون على ارواحنا، ثم نتنازل عن حقوقنا واوطاننا ونشكر الله على نعمته علينا، ونتحدث بفضل مدنية القرن العشرين ايضاً وايضاً بعدل السياسة البريطانية». ويعود الى محاباة سلطة الانتداب لليهود مستغرباً تسليحها لهم وسكوتها عن تهريبهم للاسلحة من لبنان، وينتقد على كل المستويات جميع الهيئات الفلسطينية. «ماذا تنتظر لجنتنا التنفيذية ومجلسنا الاسلامي، وجمعياتنا وصحفنا وكل فرد منا وسط كل هذه الحوادث والمظاهر المنذرة، اذا صح تشاؤمنا، بان المستقبل مظلم؟». عن هذا السؤال يجيب نصار. «مهاجرو اليهود يدخلون بالمئات والالوف قبل ان يستقر الحال، والجنود تحدق بنا، والطيارات تحلق فوق رؤوسنا، والادارة تعمل لغير صالحنا، واليهود يهربون السلاح، والحكومة تسلحهم»، ثم يوجه النداء: «اعملوا لدرء الخطر قبل وقوعه، ولاتقاء الشر قبل ان ينالكم اذاه»(٨١). ومع نهاية عام ١٩٢٩، يعود نصار لدعواته المتكررة، محذراً من عملية بيع الاراضي والسمسرة، والمتاجرة بالوطنية، ويطالب بارسال وفود للبلاد العربية والاسلامية لشراء الاراضي التي قد تعرض للبيع، ويكرر دعوته السابقة بالحاح والمتعلقة بتنمية الزراعة والصناعة(٨٢).